أستاذ التاريخ والحضارة د.عبدالحليم عويس :.

إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ضرورة لتصحيح المسار



حوار: محمد صالح

عندما يشتد وطيس الحرب على الإسلام وتتعالى صيحات الكارهين لعقيدة الإسلام، نحتمي بمنهجنا القويم، ود.عبدالحليم عويس أحد فرسان الدفاع عن إسلامنا في هذا العصر الذي كثر فيه الأعداء والذي ينير الطريق بدراسة التاريخ الإسلامي.. «الوعي الإسلامي» التقت بالمفكر ليعطي صورة واضحة عن واقعنا المعاصر من خلال قراءة للتاريخ الإسلامي.. وإليكم نص الحوار:

■ **تعرض التاريخ الإسلامي للتشويه والتحريف من المستشرقين، ومن بعض المسلمين، من أجل ذلك تعالت الصيحات منادية بإعادة كتابة التاريخ الإسلامي بشكل علمي وموضوعي، فهل تؤيدون هذه الدعوة؟**

نعم أُؤيدها.. وبكل قوة، والحقيقة أنه ليس التاريخ الإسلامي وحده هو الذي صنعته وطبخته بطريقة خاصة مطابخ الاستشراق، وتلامذة الاستشراق.

فإني أزعم أن هناك محاولات جرت لتوجيه الأدب والعلوم الإسلامية هذا التوجيه الاستشراقي الذي يُجسّد بعض القيم، أو بعض النماذج التي تخدم الفكر الاستشراقي، والتي في نهايتها تُقدم الإسلام والمسلمين تاريخاً وحضارة على أنهم أناس لا يصلحون كحل حضاري للإنسان الغربي، وأيضاً يحاولون تشويه الإسلام تاريخاً وحضارة، فركزوا على مناطق الخلاف بين المسلمين، كسنوات الخلاف بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما)، وركزوا على بعض الحركات الخارجية كالصعاليك، وبعض الفرق التي تزندقت، أو ثارت على الدولة الإسلامية، سواء كانت أموية أو عباسية أو عثمانية لأتفه الأسباب.

ولقد اختزلوا بعض الفقرات من التاريخ، وعمّقوا بعض الوقائع، وقادوا الحقائق قيادة تحليلية تؤدي في النهاية إلى بث الشك في هذا التاريخ، ولكن، ليس معنى هذا أن تاريخنا يخلو من الأخطاء، ولكن حتى هذه الأخطاء يمكن أن تُدرس، ويُستفاد منها العبر، وألا تتكرر بعد ذلك، فتاريخنا هو تاريخنا بإيجابياته وسلبياته، وقد آن لنا أن نكتبه نحن بأقلامنا، وبأقلام علمية وموضوعية، وأن نتعرف على العناصر الرائعة فيه، وحبذا أن تقوم دولة بتشكيل لجنة كبيرة لكتابة هذا التاريخ، وأن يُكتب في عدد من الدول، وأن تُجمع هذه الجهود من قِبل بعض المخلصين الذين كتبوا التاريخ بعلمية وحيادية - وهم كثيرون الآن والحمد لله - تُجمع هذه الجهود وتُطبع وتُقدم للناس تقديماً يصل إليهم ولا يصعُبُ عليهم أن يحصلوا عليه.

ويشرفني أن أُعلن أنني أشرفت منذ عشر سنوات على موسوعة كاملة للتاريخ الإسلامي كتبها نحو ثمانين أستاذاً، وكنت أنا المشرف عليها، وتقع في نحو عشرة الآف صفحة.

■ **باعتباركم أستاذاً للتاريخ والحضارة الإسلامية، ما هو تعريفكم لمفهوم الفقه الحضاري، وكيف نقدم حضارتنا الإسلامية للحضارات الأخرى؟**

الفقه الحضاري: هو التعرف على سنن الله الكونية والاجتماعية. والأمة الإسلامية قد تجادل كثيراً.. وقد تبذل جهوداً كبيرة في حقل الجزئيات، وفي حقل الأحكام الفرعية، بيد أنها لم تُول الفقه الحضاري حقه من الدراسة، بل إن القرآن الكريم فُسر لغوياً، وفُسر وفقاً للأحكام، وفُسر وفقاً للعقيدة على النمط الاعتزالي، وعلى نمط أهل السنة، وما إلى ذلك، فُسر القرآن تفسيرات مختلفة، لكن حتى الآن لم يُفسر القرآن تفسيراً حضارياً يستوعب كل ما ورد فيه حول الأمم السابقة، وحول تجارب الأنبياء السابقين، وحول اللمحات والإشارات التي تضمنتها كثير من الآيات القرآنية، والتي تدل على سنن البقاء، وسنن الصعود، وسنن الهبوط وسنن السقوط. ففي القرآن الكريم زخم كبير من هذا اللون من الإشارات الوجيزة

الوضيئة للسنن التي إذا اتبعتها الأمم ارتفعت، وإذا تخلت عنها هوت وسقطت.

فنحن في حاجة إلى قراءة للقرآن، وتفسير للقرآن وفقاً للفقه الحضاري الذي يُقدم السنن الاجتماعية والكونية، ويضع أمام الحاكمين والمحكومين، وأمام المثقفين أدلة عمل، أدلة نهضة، أدلة بقاء، أدلة وجود، وأيضاً يضع من خلال التجارب الهالكة أدلة الفناء، وأدلة السقوط، لنعمل على تقوية هذا وتجنب ذاك.

هذا هو الفقه الحضاري، فقه السنن الكونية.. فقه الدروس المستخلصة من قصص الأنبياء، ومن قصص الأمم السابقة، ومن فقه الإشارات الواردة في القرآن الكريم حول: كيف تبقى الأمم؟ وكيف تسقط الأمم؟

■ من أخطر الأمور على الأمة الإسلامية شعور أفرادها بالهزيمة النفسية، فهل من سبيل لاستعادة المسلم ثقته بنفسه، واعتزازه بحضارته؟

- أنا أؤمن دائماً بأن المسلم يجب عليه أن يبذر بذور الإيمان، وأن يقوم بما عليه في حدود ما يستطيع، والقاعدة الشرعية تقول: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ﴿لا يُكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾، وحتى الرسول ﷺ عاتبه ربه عندما رآه يُكلف نفسه فوق طاقتها وقال له: ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ (فاطر-٨)، فالمسلم يجب أن يُؤمن بأن الله مهيمن على كل شيء، وأنه لا يقع في ملك الله شيء إلا بمراد الله، وكل ما يقع الآن هو تمحيص للمؤمن، وهو إعادة للمؤمن إلى القضبان الصحيحة، من أجل أن يمضي القطار الإسلامي إلى غايته الصحيحة، ولا يمكن أن تستيقظ الأمة بدون هذه التمحيصات التي تقع، لأن المسلمين كانوا نائمين ومخدرين، وما زالوا يُؤثرون الخلافات الفرعية على الأصول الجامعة المانعة كشعب الإيمان، والأخوة الإسلامية. هناك أكثر من ثمانين شعبة تُجمع المسلمين، لا يختلف عليها مسلمان قط، ومع ذلك نترك هذه الأصول الجامعة المانعة ونعمل في حقل الخلافات الفرعية.

بعض المستشرقين اختزلوا بعض أحداث التاريخ وعمقوا بعض الوقائع الخلافية وقادوا الحقائق لأهدافهم التغريبية والإستعمارية

وأذكر هنا أن المفكر العظيم الذي عاش في ظل واحدة من أسوأ الظروف في تاريخنا المعاصر، وهو المفكر الكردي التركي المسلم بديع الزمان سعيد النورسي، وضع ستة شروط لنهضة الأمة الإسلامية، جعل أولها نبذ اليأس، فليس من حق مسلم أن ييأس، فإنه إذن يُشكك في قدرة الله أمام القوى العاتية التي يراها طغت على نفسه، ولأمر ما جعل الله اليأس قرين الكفر: ﴿إنه لا ييأسُ من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ وكثير من المصلحين نجحوا، وكونوا من حولهم ملايين حملوا الراية من بعدهم، وكانوا في ظروف من أسوأ الظروف، ففي تركيا مثلاً -أيام مصطفى كمال- ظهر سليمان حلمي، وقاد آلاف الكتاتيب وعمل عملاً عظيماً، وله تلامذة ينشرون الإسلام، حتى في أوروبا، وبهدوء أيضاً ظهر بديع الزمان النورسي، وهكذا، فيجب علينا أن نعمل، ونترك النتائج لله.

■ لا شك أن كل مفكر وباحث إسلامي ومؤرخ له في مسيرته العلمية رجال كانت لهم بصمات واضحة عليه، فمن هم هؤلاء الرجال الذين تأثر ببصماتهم المفكر الإسلامي د.عبدالحليم عويس، وما هي جوانب الإبداع والتميز فيهم؟

- الحديث في هذا يطول، لكن أحمد الله أنني كانت لي علاقة طيبة مباشرة بعدد من الرموز الإسلامية الكبيرة، فقد كانت لي صلة قوية بفضيلة الإمام الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، وكنت من أخلص وأقرب تلامذته إليه، وكنت أذهب إلى بيته، وأعيش فيه معه كما يعيش أقرب التلامذة إليه، وما زلت والحمد لله قريباً من أسرته وقريباً منه، وقد كتبت عنه كتابين أحدهما طبع في مصر عدة طبعات، والآخر طبع في جدة.

الشيخ محمد الغزالي تعلمت منه مباشرة عن طريق الاحتكاك الأسبوعي المباشر، وكنت أسافر معه دائماً، وسافرت معه خمس عشرة مرة إلى ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر، وكنت أنا الذي أشرُف بصحبته، وأسنُده في مشيه، وأقضي له أموره عندما يكون مريضاً أو مُتعباً، وهذا شرف أعتبره نعمة من الله، فتأثرت به وبأخلاقه، وبروحه الإسلامية، وأشهد أنه كان بكّاءً من خشية الله، وأنه كان يستظهر القرآن عن ظهر قلب، وأنه كان رجلاً يعيش لله وفي الله.

وأيضاً عشت على فترات متقطعة مع الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله، وزرته في الهند أكثر من عشر مرات، وكنت أقيم في ندوة العلماء أكثر من عشرة أيام في بعض الزيارات، وأعرفه عن قرب، وأيضاً عندما كان ينزل إلى الرياض وغيرها، كنت أصحبه، وكان ينزل في بيتي في بعض الأحايين، وقامت بيني وبينه علاقة قوية، وفوضني حتى في مراجعة كتبه، وقد رأيت فيه الإخلاص الشديد، والزهد العجيب، هذا الرجل الذي كان من الممكن أن يعيش في ترف، كان ينام على سرير من الخشب أو من الخوص، وكان يزهد في كل الأحوال، وكان يقدم الإسلام سلوكاً، وكان يتأوه لكل آلام المسلمين، ويعيش مع آلام المسلمين، وقد عُرف بوسطيته وبأخلاقه الرفيعة وبفكره الغزير رحمه الله.